**مقدمة**

**ميثاق الاسرة فى الاسلام**

**د / محمد عمارة**

**لماذا هذا الميثاق ؟**

**الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الانبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم الى يوم الدين وبعد......**

**قبل الغزو الفكرى الذى جاء الامة الاسلامية فى ركاب الغزوة الغربية الحديثة التى قادها " بنوبارت " على مصر والشرق ( 1213 هجريه – 1798 م ) لم تكن هناك حاجة الى وضع المواثيق والفلسفات التى تحدد سلوك المسلمين فى مختلف ميادين الحياة الفردية والاسرية والاجتماعية والسياسية ذلك ان المرجعية الاسلامية كانت هى الوحيدة الحاكمة التى تحدد كل المفاهيم والفلسفات فى سائر هذه الميادين**

**ولقد كانت المشكلات التى تعانى منها الحياة الاسلامية مقصورة على التطبيق لهذه المفاهيم الاسلامية الواحدة والتى تحكم حتى الاختلافات الفقهية الفرعية التى يثمرها الاجتهاد فى إطار وحدة هذه المرجعية ومفاهيمها وفلسفاتها ومدى اقتراب الواقع والتطبيق من المثل التى حددها الاسلام**

**لكن الغزو الفكرى الغربى قد احدث تغييرا اساسيا وذلك عندما زرع فى المجتمعات الشرقية الاسلامية مرجعية حضارية اخرى وضعية علمانية لا دينية غدت منافسا شرسا لمرجعية الاسلام الامر الذى استوجب تمييز المفاهيم الاسلامية عن نظريتها الوضعية العلمانية اللاديمية فى مختلف ميادين الحياة**

**فبدأت فكرة ضرورة وأهمية تقنين واهمية الفقه الاسلامى كبديل متميز عن القانون الوضعى العلمانى**

**وبدأت البلورة للرؤية الايمانية الاسلامية للكون والحياة لبداية الخلق والمسيرة والمصير ومكانة الانسان فى الكون كبديل متميز عن الرؤية الوضعية والمادية للكون والحياة**

**وبدأت البلورة لمذهب الاسلام فى لبثروات والاموال والعدل الاجتماعى – مذهب الاستخلاف – كبديل لليبرارية الرأسمالية والشمولية الشيوعية فى الاقتصاد والاجتماع**

**ولان الغزو الفكرى قد تسلل الى ميادين الحياة الاسلامية تدريجيا وبكل اساليب الخداع بل وبواسطة الغش والتدليس فى خلط المفاهيم ومضامين المصطلخات وذلك كى لا يستفز الحس الاسلامى فتنتفض الامة لمقاومته ولان الدوائر التى تخطط لهذا الغزو كانت على علم بمكانة الاسرة فى منظومة القيم الاسلامية – مكانة الحرام والعرض والشرف – فلقد جاء الغزو لميدان الاسرة متأخرا وفى مرحلة عموم البلوى لكل ميادين الحياة جاء فى الوقت الذى اصبحت فيه الاسرة المسلمة محاصرة بهذا الغزو الفكرى الغربى من جميع الجهات والاتجاهات**

**ومع تصاعد موجات التغريب وزيادة هيمنة الغرب على المؤسسات الدولية واجتياح العولمة الغربية للخصوصيات الثقافية والفيمية غير الغربية – فى العقدين الاخيرين من القرت العشرين – بدأ الاقتحام الغربى لحرمات الاسرة المسلمة والانتهاك لمقدسات منظومة قيمها التى حددها الاسلام وصاغتها المرجعية الاسلامية صياغة البديل الاسلامى فى هذا الميدان**

**دور منظمات الامم المتحدة فى التمكين للغزو الفكرى الغربى**

**لقد شرع الغزو الفكرى الغربى منذ العقدين الاخيرين للقرن الغشرين فى صياغة منظومة قيمه فى الحداثة وما بعد الحداثة صياغتها فى مواثيق ومعاهدات اخذ فى عولمتها تخت ستار الامم المتحدة والمنظمات التابعة لها وذلك لاخلال هذه المنظومة القيمية – المصادمة لكل القيم الدينية - محل منظومة القيم الاسلامية وفى ميدان الاسرة على وجه التحديد**

**واذا كانت قوى الهيمنة الغربية المعاصرة ترفع – ميدان السياسة – شعار الفوضى الخلاقة التى تتغيا من ورائها تفكيك المجتمعات الاسلامية وبعثرة مكونات وحدتها وفق معايير عرقية ومذهبية وطائفية ليتأبد نهب ثروات هذه المجتمعات بمنع التماسك والتضامن والوحدة الاسلامية من الجهاد لتحرير الاوطان والثروات فلقد غدت الهجمة الغربية على خصون الاسرة المسلمة بمثابة المعركة الفاصلة فى هذه الغزوة وهذا الاحتواء الذى يتغيا إحداث الفوضى فى عالم الاسرة لتفكيكها والقضاء على مقوماتها ومن ثم تفكيك الامة المكونة كم الاسر والعائلات**

**واذا نحن اخذنا نموذجا واحدا من الوثائق التى يصوغها الغرب ويضمنها منظومة قيمة فى الحداثة وما بعد الحداثة ثم يسعى لعولمتها وفرضها على الحضارات غير الغربية تحت ستار الامم المتحدة واعلامها لنرصد من بين فصولها وموادها عددا من معالم الهدم والتدمير لمنظومة الاسرة المسلمة فى القيم والاخلاق فإننا واجدون فى وثيقة مشروع برنامج عمل المؤتمر الدولى للسكان والتنمية الذى هقد بالقاهرة من 5 حتى 15 سبتمبر 1994 نموذجا لاعلان الحرب على الاسرة ومنظومة القيم والاخلاق التى حددها له الاسلام**

**فإذا كان الاسلام – انظلاقا من الفطرة الانسانية السوية – قد بنى الاسرة على العلاقات الشرعية والمشروعة بين ذكر وانثى لنتحقق 0 بعذا التمايز والتكامل 0 سعادة الانسان وليتحقق – بالتوالد والتناسل – بقاء النوع الانسانى ولتكون هذه الاسرة هى اللبتة الاولى فى تاسيس بناء الامة فإن وثيقة مؤتمر السكان – وبصريح العبارة – تعلن الحرب على هذا المعنى الانسانى للاسرة وتدعو الى تغيير الهياكل الاسرية معتبرى ذلك التغيير هو المجال الحيوى لعمل الحكومات والمنظمات الحكومية الدولية والمنظمات غير الحكومية المعنية ووكالات التمويل والمؤسسات البحثية فكل هذه المؤسسات مدعوة بإلحاح لاعطاء الاولوية للبحوث الحيوية المتعلقة بتغيير هياكل الاسرة وذلك حتى لا تكون – فقط -–اسرة شرعية مؤسسة على علاقة مشروعة بين ذكر وأنثى وإنما لتضم كل الوان العلاقات - بين رجل ورجل او بين امرأة وامرأة - مدخله بذلك الانقلاب كل الوان العلاقات الشاذة والمحرمة شرعا وفطرة فى إطار الاسرة التى يهترف به القانون ويحميها ويرتب لها الحقوق**

**واذ كان الاسلام قد ضبط المتعة الجنسية لتكون سبيلا شرعيا للعفة والاحصان والانجاب فجعل الجنس مشروعا فإن وثيقة مؤتمر السكان تطلب - فقط - أن يكون الجنس مأمونا اى لا يؤدى الى الامراض وتطلقه وتحرره من ضوابط الشرع ليكون حقا من حقوق الجسد – كالطعام واشراب – مباحا لجميع الافراد وليس فقط الازواج ومن كل الاعمار بما فى ذلك المراهقون والمراهقات**

**فالصحة التناسلية والصحة الجنسية التى جاءت مصطلخاتها الاكثر شيوعا وتكرارا فى هذه الوثيفة هى حالة الرفاهية البدنية والعفلية والاجتماعية الكاملة التى تجعل الافراد ( وليس فقط الازواج ) قادرين على التمتع بحياة جنسية مرضية ومأمونة والمتعة الجنسية والصحة التناسلية هى كالاحتياجات التغذية حق من حقوق البنات والفتايات المراهقات**

**واذا كان الاسلام قد اطلق على عقد الزواج الذى تؤسس به الاسرة وصف الميثاق الغليظ المؤسس على قيم المودة والرحمة والسكن والسكينة فجاء فى القرآن الكريم ( ) النساء 21 ( الروم 21**

**فإن وثيقة مؤتمر السكان تؤسس العلاقة التى تسميها أسرة على مجرد الالتقاء الاختيارى المؤسس على الاباحة والاباحية ولذلك فهى تنزع عن هذه العلاقة الصفة الشرعية حتى لقد خلت كل فصول هذه الوثيقة وبنودها خلوا تاما من كلمتى الله والدين**

**واذا كان الاسلام يحض على الزواح المبكر لإحصان البالغين من الشبان والشابات وإفافهم فإن وثيقة مؤتمر السكان تحرم وتجرم الزواج المبكر وتستعيض عنه ببدائل منها الزنا المبكر فتدعو الحكومات الى أن تزيد السن الادنى عند الزواج حيثما اقتضى الامر ولا سيما بإتاحة بدائل تغنى عن الزواج المبكر**

**اى انها تدعوالى تقييد الحلال والى اطلاق الحرام الذى جعلته حقا من حقوق الجسد لجميع الناشطين جنسيا من كل الاعمار وبين جميع الافراد وعلى اختلاف الوان هذه العلاقات**

**وفى الوقت الذى يقيم فيه الاسلام العلاقة بين الرجل والمرأة - وخاصة فى إطار الاسرة – على قواعد المودة والرحمة والسكن والسكينة ويجعل النساء شقائق الرجال كما جاء فى الحديث الشريف ويقرر للنساء من الحقوق مثل الذى عليهن من الواجبات بالمعروف المتعارف عليه ( ) البقرة 228 ( التوبة 71**

**تذهب وثيقة مؤتمر السكان انطلاقا من الطابع المادى للحضارة الغربية الى تحويل هذه العلاقة الى علاقة تجارية مادية تتشيأ فيها لبقيم والمثل والاخلاقيات فتتحدث عن تمكين المرأة بدلا من الحديث عن إنصافها ومساواتها بالرجال وتدعو الى دمجها بشكل تام فى الحياة المجتمعية والى المشاركة الكاملة للرجل فى تربية الاطفال والعمل المنزلى فتصادم بذلك تقسيم العمل الفطرى الذى ساد الحياة الانسانية على مر التاريخ**

**والاكثر إمعانا فى الغرابة والشذوذ ان الغرب الذى يتفاخر بالحديث عن الحرية والليبرالية وحقوق الانسان ينكر على الامم والخضارات الاخرى حقوقها فى ان تختار منظومة القيم التى تريد !! ويسعى - بالترهيب والترغيب - الى فرض مفاهيمه وفلسفاته على العالمين – فى وثيقة مؤتمر السكان – توجيه المعونات التى يقدمها لتنفيذ ما صاغه فى هذه الوثيقة من قيم وفلسفات فتتكرر – فى هذه الوثيقة – عبارات الالتزام والالتزام التى تقول " ينبغى للحكومات ان تلتزم على اعلى مستوى سياسى بتحقيق الغايات والاهداف الواردة فى برنامج العمل هذا وإعمال الضمانات واليات التعاون الدولية لكفالة تنفيذ هذه التدابير وينبغى على الجمعية العامة للامم المتحده ان تنظم استعراضا منتظما لتنفيذ برنامج العمل هذا "**

**وعندما طلبت بعض الدول النص – فى الوثيقة – على ان يكون تنفيذ السياسات السكانية حقا سياديا يتمشى مع القوانين الوطنية راينا الوثيقة تجهض هذا الحق – بغد النص عليه – وذلك بالنص على ان يكون هذا الحق فى إطار الامتثال للمعايير الدولية لحقوق الانسان وهى المعايير التى صاغها الغرب لتعبر عن فلسفته فى هذا الميدان**

**اما الاغراء والترغيب الذى قدمه الغرب – فى هذه الوثيقة – فهو المساعدات فى مجالات التنمية التى تساعد على انتشار هذا الانحلال فنصت هذه الوثيقة على انه ينبغى للمجتمع الدولى ان ينظر فى اتخاذ تدابير مثل نقل التكنولوجيا الى البلدان النامية لتمكينها من انتاج وتوزيع وسائل منع الحمل ذات النوعية العالية وغيرها من السلع الضرورية الزمة لخجمات الصحة التناسلية وذلك للاعتماد على الذات فى هذا الميدان**

**نعم هذا هو الميدان الذى يساعد فيه الغرب الدول كى تعتمد على الذات ميدان انتاج وتوزيع وسائل منع الحمل ذات النوعية العالية وغيرهامن السلع الضرورية لتحقيق المتعة الجنسية المأمونة للافراد من مختلف الاعمار**

**الرسالة التى يحققها ميثاق الاسرة**

**وهكذا ومن خلال هذه الامثلة - وهى مجرد امثلة – من وثيقة مؤتمر السكان – وهى مجرد وثيقة من وثائق عديدة – يتم الغزو والاجتياح لاخر حصون الامة الاسلامية ولمنظومة القيم الحاكمة لهذا الحصن حصن الاسرة المسلمة**

**الامر الذى استوجب وفرض الوضع والصياغة لهذا الميثاق – ميثاق الاسرة – فى الاسلام – ليكون – مع مذكرته التفسيرية – دليلا ينير الطريق للانسان المسلم - رجلا كان او امرأة – ومرجعا للمجتمعات الاسلامية ومنظماتها الاهلية ولحكوماتنا الوطنية ومنظماتنا الاقليمية بل وردا على مواثيق الغزو وايديولوجياته الى تحاول – مع امتداداتها التى تحاول – مع امتداداتها السرطانية فى مجتمعاتنا – اجتياح اخر حصون الاسلام وامته حصن الاسرة فى عالم الاسلام**

**اننا والغرب امام مفهومين مختلفين للحرية ينبع كل واحد منهما من فلسفة النظر الى مكانة الانسان فى الكون وعلاقته بالذات الالهية**

**ففى الاسلام : استخلف الله الانسان فى الارض لاداء الرسالة التى عهد بها اليه وفى الحدود وبالضوابط المرسومة له فحرية الانسان فى الاسلام محكومة ببنود عقد وعهد الاستحلاف المتمثلة فى الشرائع الالهية**

**بينما هذا الانسان – فى الرؤية الوضعية الغربية – هو سيد الكون الذى لا سلطان على عقله الا لعقله وحده ولا حدود لحريته الا ارادته واختياره والتى لا يضبطها سوى ما يضعه بنفسه لنفسه من قوانين**

**ولقد ادرك علماء الاسلام – منذ بدايات الغزو الفكرى الغربى للشرق الاسلامى – هذا الفارق الجوهرى فى مفهوم الحرية فانتقد العالم المجاهد عبد الله النديم ( 1261 – 1313 هجرية – 1845 – 1896 م ) المفهوم الغربى للحرية فقال**

**" ولئن قيل : ان الحرية تقضى بعدم تعرض أحد لاحد فى أموره الخاصة قلنا : ان هذا رجوع الى البهيمية وخروج عن حد الانسانية اما الحرية الحقيقية فهى عبارة عن المطالبة بالحقوق والوقوف عند الحدود**

**ولئن كان ذلك سائغا فى اوربا فإن لكل امة عادات وروابط دينية او بيئية وهذه الاباحة لا تناسب اخلاق المسلمين ولا قواعدهم الدينية ولا عاداتهم**

**اننا ابناء دين اضفى القداسة الدينية على منظومة القيم الحاكمة لمؤسسة الاسرة عندما اقامها على الميثاق الغليظ الجامع لقيم المودة والرحمة والسكن والسكينة**

**كما رسم هذا الدين المعالم والطرق والوسائل لحل مشكلات هذه الاسرة من الإعراض الى النشوز الى الشقاق وجعل التحكيم والشورى السبل لاصلاح هذه المشكلات**

**ونحن ابناء الحضارة الى وضعت هذه القيم الدينية وجسدتها فى الممارسات والتطبيقات على امتداد تاريخ الاسلام حتى لقد راينا مؤسسة الاوقاف وهى المؤسسة الاهلية الام التى مولت صناعة الحضارة الاسلامية وتجديدها ترصد الاوقاف الواسعة على مؤسسة الاسرة فتيسر الزواج وتحل مشكلاته الاوقاف التى تيسر**

**1 – تزويج المحتاجين والمحتاجات**

**2 – وتقديم الحلى وادوات الزينة ومستلزمات العرس للعرائس الفقيرات**

**3 – وتقديم حليب الرضاعة المحلى بالسكر لاعانة الامهات المرضعات**

**4 – وتاسيس الدور لرعاية النساء الغاضبات اللواتى لا اسرلهن او من تسكن اسرهن فى بلاد بعيده فتؤسس هذه الاوقاف لهن الدور التى تقوم على رعايتها نساء مدربات على راسهن مشرفة تهيىء الصلح للزوجات الغاضبات من ازواجهن**

**5 – وحتى الاوقاف المرصوده على رعاية الايتام واللقطاءهكذا صاغ الاسلام للاسرة ميثاقا من القيم والاخلاق ووضعت الحضارة الاسلامية هذه القيم فى التطبيق قدر الامكان ومع تفاوت فى التطبيق الذى يفترب فيه الواقع من المثال على امتداد تاريخ الاسلام**

**ومن هنا وفى مواجهة الغزو الغربى لحصن الاسرة المسلمة تاتى الاهمية البالغة لهذا الميثاق ميثاق الاسرة فى الاسلام تلك الاهمية التى لا تقف عند كونه السياج الذى يحمى الاسرة المسلمة فى المجتمعات الاسلامية وانما تمتد هذه الاهمية الى حيث تجعله إعلانا عالميا اسلاميا ينطلق من عالمية الاسلام وهدايته للعالمين ليكون طوق نجاة للاسرة كل اسرة على امتداد القارات والحضارات وذلك عندما يدعو بأسم الاسلام اهل الحكمة والفطرة الانسانية السوية من مختلف الديانات الى كلمة سواء**

**انه بديل اسلامى لكل ما يرفضه الاسلام فيما يتعلق بالاسرة تقدم به اعلانا اسلاميا عالميا لانقاذ الاسرة من الانحلال الذى تفرضه عليها العولمة الغربية**

**تلك هى رسالة هذا الميثاق وهذه هى مكانته ومقاضده التى تدعو الله سبحانه وتعالى ان يهيىء لها اسباب التحقيق والتمكين انه سبحانه افضل مسئول واكرم مجيب**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**بين يدى الميثاق**

**المصادر والمنطلقات والاختيارات**

**الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى لآله وصحبه أجمعين**

**فهذا الميثاق حهد جمعى تضافر على إنجازه مجموعة من العلماء بدعوة من اللجنة الاسلامية العالمية للمرأة والطفل – التابعة للمجلس العالمى للدعوة والاغاثة بالازهر الشريف – وتحت رعايتها ثم تتابع على تحقيقه وتمحيصه اعداد من علماء هذه الامة ومن شتى بلادها وبقاعها زادوا على العشرين عالما وقد تمثلوا جميعا فى هذا العمل قول الله تعالى ( النساء 83**

**فكان عملا جماعيا اسلاميا سيحفظ له التاريخ – بإذن الله – قيمته ومنزلته**

**" وميثاق الاسرة فى الاسلام " يسد حاجة من حاجات الامة فى اهم مكونات ذاتها وهى الاسرة ويكشف عن عدالة الاسلام ورحمته ويسره وسماخته واعتداله ووسطيته فى امره كله بما فى ذلك نظم الحياة الدنيوية وعلى راسها نظام الاسرة الذى يعتبر القلب النابض لغيره من النظم لان الاسرة نواة المجتمع وبذرته ووحدة تكوينه بل هى صورة مصغرة عنه**

**هذا وقد قام القائمون على الميثاف باستقاء مواده وبنوده من شريعتنا الغراء الثابته بصريح الكتاب وصحيح السنة كما قاموا ايضا بالانتقاء والاختيار من تراثنا الفقهى الضخم بمذاهبه كله من لدن الصحابة والتابعين ومرورا بالمذاهب الفقهية الاربعة وغيرها وحرصوا فى تدوينهم هذا على الابتعاد عن كل ماهو غريب ومرجوح من الاراء والاقوال وخاصة اذا ضعف مستنده ووهن معتمده او ما كان مبينا على عرف زمانه ثم تغير الى عرف مستحدث لم يسبق له حكم**

**كما راعى العلماء فى اختيارهم وانتقائهم وتدوينهم على ان تكون كل مسألة يقررونها لها دليلها من الكتاب والسنة والاجماع والقياس كما حرصوا على مراعاة ظروف واحوال المجتمعات الحديثة القائمة الان والمصالح والمفاسد المحيطة بهذه المجتمعات ومآلات الاحوال لهذه المصالح والمفاسد فجمعت بين الشرع والعقل والسمع والرأى مع الخرص الشديد على الاخذ بايسر وأعدل وأوسط الاراء واكثرها ملاءمة لمقتضيات العصر الحديث فى نظرهم مع تجنب مواطن الخلاف بقدر الامكان**

**كما وازنوا فى صياغته والفاظه بين ماهو قطعى واهو ظنى وبين ماهو متفق عليه وماهو مختلف فيه وبين ماهو ثابت وماهو متغير فجعلوا للاول منها اللفظ القاطع وللثانى منها اللفظ المحتمل اما ترتيب المواد ومنهجيته البحثيية فكانت مشتملة وجامعة لخير القديم والحديث فطانت موصولة بتراثنا واصالتنا الفقهية بتاصيلهم وتقعيدهم بل ومصطلحاتهم وموشاة باسلوبنا العصرى القانونى وايضا مزجوا فى تداخل تام لا ينفصل بعضه عن بعض بين العقائد والاحكام والاخلاق فسلوك الفرد والجماعة لا بد وان ينضبط بذلك العقد المنظوم بين الايمان والاسلام والاحسان كما اعتدلت صياغة تلك المواد بين دور الانسان كفرد والاسرة كلبنة صغرى والمجتمع ومؤسساته والدولة ككيان معنوى فى وسطية وعدل وحفاظ على الحقوق وبيان للواجبات فلم تغفل دور الفرد وحقه وواجبه من اجل المجتمع كما لم تهمل دور المجتمع وحقه وواجبه فى سبيل الفرد فجاءت مواد هذا الميثاق وفقراته رفيعة المضمون واضحة الاسلوب قويمة المنهج اتسقت فيها امور الاسرة وشؤونها وحاجاتها اتساقا يرشح بصفاء منهلها وثبات اصولها ورسوح قواعدها كما يرشح بما تضمنه من احكام عادلة وتوجيهات فاضلة ترمى الى تحصين الاسرة والمجتمع وتمتين بنائها وحمايتها من الزوابع والعواصف وصياغتها على المكارم والفضائل واعادها ليكونا راشدين قاصدين صاعدين**

**ونجد خلف تلك الكلمات الدقيقة المحدودة " 164 " مادة : رؤية مقاصدية وكلية للشريعة والفقه تأصيلا وتفريعا عقلا ونقلا استشهادا واستدلالا حالا ومالا ينبىء عن فقه دقيق وفهم عميق للواقع والشرع مع استكمال الات الاجتهاد فاكتملت المنظومة الاجتهادية من المجتهد والمجتهد فيه وادوات الاجتهاد اما " المذكرة التفسيرية " فجاءت موضحة ومبينة لذلك الجهد العلمى الضخم المتمثل فى الميثاق رافعة النقاب عما هو مستبطن وكاشفة اللئام عن تلك الخلفية المنهجية المخبوءة والمستورة فى الصياغة الدقيقة لبنود الميثاق**

**وداؤنا لله ان يهيىء للامة الاسلامية كل الخير بهذا الميثاق وان تعنى بتطبيقه على واقعها الاجتماعى والاسرى وان تمكن له فى مجالتها التعليمية والتشريعية والثقافية وان يكون خطوة فعلية نحو توحيد مدونة فى شؤون الاسرة فى العالم الاسلامى بأسره**

**وآخر دعوانا أن الحمدلله ربالعالمين**

**\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\***